بتـــاح حوتـب

PTAHHOTPE

رائـد الفكــر الأخلاقـــى فى مصــر القديمــة

د. مصطفى النشــار

كلية الآداب - جامعـة القاهرة

مقدمـــــة :

لاشك لدى أى مؤرخ منصف للحضارات فى أن الإنسان المصرى القديم هو صاحب أول ابداع حضارى عرفه التاريخ الإنسانى وبالذات فى مجالى الأخلاق والدين .

فقد شعر المصريون الأوائل بأهمية الضمير الأخلاقى والتصرف طبقا له فكان شعارهم الأساسى الذى رفعوه طوال عصورهم هو التصرف وفقا للعدالة والنظام (ماعت ـ Maat) ؛ فمنذ أسطورة ايزيس وأوزوريس تلمح شعور المصرى الأول بالاشمئزاز من الحروب حيث كان ينظر إلى أوزوريس الإله كأمير للسلام ، فهو ـ تبعا للنسخة الأولى من الأسطورة كما يحللها ارمان ـ لم يحارب الشعوب الأجنبية إلا عن طريق الإقناع ، وحين يطالب حورس ابنه بدمه فإن الأمر لا يسير إلا من خلال العدالة ، ومملكة هذا الإله أوزوريس (المبرأ من كل عيب) لا يدخلها إلا المطهرون ، وعلى كل واحد أن يثبت أمام الإثنين والأربعين قاضيا للموتى أنه لم يرتكب اثما قط ، وكانت هذه الآثام فى مقدمتها ما هو محرم فى كل مجتمع إنسانى كالقتل والتحريض عليه والسرقة والغش والتزوير والفسق والزنا ، ثم يضاف إلى ذلك واجبات أسمى ؛ فعلى الإنسان ألا يكذب وألا يغتاب وألا يتجسس من وراء الأبواب وألا يأكل قلبه أى لا يهلك نفسه فيما لا يجدى من أسى [(١)] .

فى ظل هذه التعاليم الأخلاقية الراقية التى رسخت منذ الحضارة المصرية القديمة ولد بتاح حوتب فى عصر الدولة القديمة وعاش فى حوالى عام ٢٧٠٠ ق. م فى تقدير برستيد [(٢)] ، أو فى عام حوالى عام ٢٥٠٠ ق. م فى تقدير ارمان [(٣)] .

---

(١) ادولف ارمان : ديانة مصر القديمة ، ترجمة د. عبد المنعم أبو بكر ود. محمد أنور شكرى ، نشرة مصطفى البابى الحلبى ، بالقاهرة ، بدون ص ١٧٨ .

(٢) جيمس هنرى برستيد : فجر الضمير ، ترجمة د. سليم حسن ، نشرة مكتبة مصر ، بدون تاريخ ، ص ١٤٢.

(٣) ارمان : نفس المرجع السابق ، ص ١٧٩ .

واذا كان هناك خلاف حول الفترة الزمنية الدقيقة التى عاش فيها، فإنه لا خلاف بين المؤرخين على أنه كان يعمل كبيرا للوزراء فى عصر الملك أسيسى من ملوك الأسرة الخامسة . [(١)]

ولقد قدم بتاح حوتب أول وأشهر [(٢)] تعاليم أخلاقية مكتوبة لمفكر فى تلك العصور ، ولهذه التعاليم قصة ؛ فقد شعر هذا الوزير المسن بضعفه الناشىء عن تقدمه فى العمر فطلب من الملك أن يأذن له بتعليم ابنه ليقوم بعده بأعباء الواجبات الحكومية وحتى يمكنه مساعدته فى حياته ويصبح مؤهلا لخلافته بعد مماته ، وقد وافق الملك على ذلك فقام بتاح بنصح ابنه فى كتاب وصلت إلينا نسخته من عصر الدولة الوسطى وان كان قد كتب قبل ذلك [(٣)] . وقد أطلق البعض على هذا الكتاب اسم « مخطوط الحكمة » [(٤)] ، وأطلق عليه أخرون اسم « الحكم والنصائح » [(٥)] . ولقد اتخذه المصريون فى عهد الدولة القديمة وما بعده معينا للحكم والتعاليم وجعلوا منه اساساً لأصول التربية والسلوك .

(١) أنظر : ارمان : نفس المرجع السابق ، ص ١٧٩ . وبرستيد : نفس المرجع السابق ، ص ١٤٢ وما بعدها . وكذلك : د. أحمد بدوى : فى موكب الشمس ، الطبعة الثانية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٥ م ، ص ١٩٠ .
والجدير بالذكر أن الحفريات قد أثبتت وجود بتاح حوتب ، ودل على قبره فى سقارة حيث قبور الأسرة الخامسة فهو شخص تاريخى . أنظر : عبد القادر حمزه : على هامش التاريخ المصرى القديم ، مجلد ٢ ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٤١ م ، ص ١٥١) .

(٢) يجدر الإشارة هنا إلى أن المؤرخين قد كشفوا عن أن أقدم حكم وصلت إلينا من مصر القديمة هى التى تعرف باسم « مواعظ كاجمنة » التى كتبها وزير الملك حونى Houni ليهذب بها أبناءه ومنهم كاجمنة الذى سميت المواعظ باسمه . وما عثر عليه منها قليل ، وأهم ما فيها مدح فضيلة الصدق ورفع شأن مهارة الكلام ورفض السكر والشراهة ، والدعوة إلى الاعتدال . [أنظر فى عرض هذه المواعظ : عبد القادر حمزه ، عليى هامش التاريخ المصرى القديم ، ص ١٤٥ ، ١٤٦ . وراجع تعريب هذه التعاليم فى : أحمد كمال : الحضارة القديمة ، الجزء الأول : مصر ، نشرة مجلة الجامعة المصرية ، بدون تاريخ ، ص ٢٨٦ - ٢٨٧] . ولكن تعاليم بتاح جاءت إكثر شمولا وتنوعا وعمقا مما اكسبها الشهرة ، واكسب صاحبها الريادة فى مجال الفكر الأخلاقى فى مصر القديمة .

(٣) أنظر : ادولف ارمان وهرمان رانكه : مصر والحياة المصرية فى العصور القديمة ، ترجمة وراجعه د. عبد المنعم أبو بكر ومحرم كمال ، مكتبة النهضة المصرية ، بدون تاريخ د ص ١٧٥ .

(٤) أنظر : هنرى توماس : أعلام الفلاسفة (كيف نفهمهم) ، ترجمة مترى أمين ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٤) ، ص ٧ ، ٨ .

(٥) أنظر : د. أحمد بدوى ، فى موكب الشمس ، ص ١٩٠ .

وقد احتوى مخطوط هذا الكتاب على ثلاثة وأربعين لوحة أو أربعة وأربعين فى رواية أخرى ، والقرطاس الذى وجدت فيه يعرف عند العلماء باسم « بردية بريس ـ Papyrus Prisse » . وتشتمل كل واحدة منها على نصيحة كتبت عفو الخاطر (١) ، فلم يجهد بتاح ذهنه فى محاولة الربط بينها ولم يبذل جهدا فى ترتيبها أو تنظيمها .

وقد شغل بترجمتها الكثيرون منذ المعلم هيل نسنة ١٨٥٥ م الذى جاءت ترجمته غير واضحة ، ثم ترجم شاباس أربعة عشر سطرا منها فى مجلته الأثرية المطبوعة سنة ١٨٥٨ م ، ثم ترجمها لوث فى سنتى ١٨٦٩ و١٨٧٠ م وعلق عليها ، كما ترجمها بردكش وجاءت ترجمته مناسبة (٢) . وقد ترجمت إلى العربية فى أكثر من كتاب ، فقد نشر ترجمتها كاملة أحمد بك كمال فى كتابه « الحضارة القديمة » بالجزء الأول ، وعبد القار حمزه فى كتابه « على هامش التاريخ المصرى القديم » بالمجلد الثانى ، وسليم حسن فى كتابه « مصر القديمة » بالجزء الثانى ، كما ترجمها ضمن ترجمته لكتاب برستيد « فجر الضمير » حيث اعتمد عليها الأخير فى تحليله لفكر بتاح حوتب . ونحن سنستفيد من كل هذه الترجمات العربية فى تحليل فكر بتاح ووضعه فى اطار فلسفى نظرى .

أولاً : رأيه فى المعرفة والفضيلة السياسية :

يبدأ بتاح كتابه بأن ينصح ابنه بالتواضع وعدم التعالى على الناس بسبب المعرفة فيقول له « لا تكن متكبراً بسبب معرفتك ولا تثق بأنك رجل عالم ، فشاور الجاهل والعاقل لأن نهاية العلم لا يمكن الوصول إليها ، وليس هناك عالم يسيطر على فنه تماما . وان الكلام الحسن أكثر اختفاء من الحجر الأخضر الكريم (٣) ومع ذلك فإنك تجده مع الإماء

---

(١) أنظر : عبد القادر حمزه ، نفس المرجع السابق ، ص ١٥١ . وكذلك : برستيد : نفس المرجع السابق ، ص ١٤٣ . وسليم حسن : مصر القديمة ، الجزء الثانى ، مطبعة كوثر ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ٤١٧ .

(٢) أحمد كمال : نفس المرجع السابق ، ص ٢٨٦ .

(٣) أن المقصود بالحجر الأخضر الكريم هنا هو الزمرد ، وقد ورد ذلك في كتاب: جون ويلسون : الحضارة المصرية ، ترجمة د. أحمد فخرى ، مكتبة النهضة المصرية ، بدون تاريخ ، ص ١٧١ .

اللائى على أحجار الطواحين » (١) .

ان بتاح هنا يقرن بين القلم وقيمة أخلاقية كبرى هى التواضع ؛ فكلما ازداد المرء علما ازداد تواضعا لأنه يكون أكثر دراية بأن طريق المعرفة لا نهاية له ، فالمتخصص فى أى علم هو أكثر الجميع معرفة بجوانب النقص فى علمه وبالثغرات التى يجب سدها « فليس هناك عالم يسيطر على نفسه تماما » .

لقد وعى بتاح فى النص السابق طبيعة العلم ومشقة طريقه ، فليس للعلم نهاية ، ومن ثم فلا ينبغى لصاحبه أن يعتقد أنه قد بلغ الكمال ، ويتضح منه أيضا أن المقصود بالعلم لدى بتاح هو الحكمة ، ولم يميز ذلك النوع من الحكمة النظرية التى أطلق عليها اسم « الفلسفة » لدى اليونان . إنه يتحدث عن نوع من الحكمة العملية ، ولعل ذلك هو ما جعله يقدر كل الناس العالم منهم والجاهل ؛ فالجميع لديه يمكن الإفادة منه ، ولذلك طلب من ابنه أن يشاور الجاهل والعاقل كما قال له ان الحكمة رغم ندرتها إلا أنها قد تكون موجودة لدى من نتصور عدم وجودها لديهم ؛ فرغم « ان الكلام الحسن أكثر اختفاء من الحجر الأخضر الكريم إلا أنه قد يوجد « مع الاماء اللائى على أحجار الطواحين » .

وينتقل بتاح بنا بعد ذلك إلى الحديث عن ضرورة استخدام العقل فى النظر والتأمل فى كل ما يسمع الانسان فيقول « ان المستمع هو الذى يحبه الإله ، أما الذى لا يستمع فإنه هو الذى يبغضه الإله . والعقل (أو القلب حسب النص الأصلى وكثيرا ما يذكر القلب بمعنى العقل والمنهج) (٢) هو الذى يجعل صاحبه مستمعا أو غير مستمع . ان ثروة المرء العظيمة هى عقله . فما أفضل الإبن عندما يصغى لأبيه ، والابن اذا وعى لما يلقيه عليه

---

(١) سليم حسن : مصر القديمة ، جـ ٢ ، ص ٤١٧ .

(٢) أنظر : سلامة موسى : تراث مصر الفكرى والفلسفى فى عهد الفراعنة ، بحث نشر فى مجلة المقتطف ، عدد سبتمبر ١٩٣٦ م بعنوان « تراث مصر القديمة » ، ص ٩٥ .

والده فإنه لن يخيب فى مشروع من مشروعاته . وعليك أن تعلّم من يستمع إليك كأنه ابنك. ومن سيكون ناجحا فى نظر الأمراء هو من يوجه فهمه حيثما يقال له لأن أكثر المصائب تنزل بمن لا يستمع » [١] .

ورغم أن مفكرنا يعتبر أن العقل هو ثروة المرء العظيمة ، إلا أنه لا يرى من العقل ـ كما هو واضح فى النص السابق ـ سوى تلك القوة التى تجعل صاحبها قادرا على الاستماع للآخرين والالتزام بنصائح الأب . ومن ثم فالعقل لديه هو العقل العملى الذى يفيد صاحبه فى حياته فيجعله مستمعا للنصيحة . ملتزما بتنفيذها ـ

وقد اعتبر بتاح أن هذا هو مفتاح النجاح فى الحياة العملية التى خصص لها حوالى ثلث نصائحه لابنه ؛ فهو ينصحه كذلك بالتخلق بالحذر فى حضرة العظماء ، وبالالتزام بآداب المائدة فى حضرة الرئيس ، وقد وصل به الأمر إلى نصحه قائلا فى ذلك « خذ ما يقدم لك عند ما يوضع أمامك دون أن تنظر إلى ما هو أمامه ، ولا تصوبن لحظات كثيرة إلى الرئيس (أى لا تحملق فيه) [٢] .

كما نصحه بتجاهل أصل رئيسه ومكانته الإجتماعية السابقة ، وبضرورة أن يحترمه طبقا لما وصل إليه « لأن الثمرة لا تأتى عفوا » [٣] ، كما نصحه كذلك بالتحلى بالصمت أمامه وبألا يتكلم إلا إذا كان يعلم أنه سيحل المعضلات لأن « صناعة الكلام أصعب من أى حرفة أخرى » [٤] .

ويتضح مما سبق تركيز بتاح على التحلى بفضيلتى الإستماع والصمت ، ويبدو أنهما كانا من الفضائل الضرورية لكل من أراد الترقى والوصول إلى المناصب الادارية العليا

(١) برستيد ، نفس المرجع السابق ، ص ١٤٣ ، ١٤٤
(٢) نفسه ، ص ١٤٤ .
(٣) نفسه ، ص ١٤٤ .
(٤) نفسه ، ص ١٤٥

فى الدولة المصرية القديمة . وهى فضائل تنبىء عن اتباع سياسة دنيوية وصفها برستيد بأنها مبنية على اليقظة والفطنة كما أنها لم تلوث بشىء يذكر من العقيدة المكيافيللية [1] ، ولست معه فى ذلك خاصة فى قوله بأنها لم تلوث بشىء من العقيدة المكيافيللية ؛ فمن الواضح أن دعوة بتاح إلى التحلى بالصمت وعدم الكلام إلا عند الضرورة كانت تستهدف غاية هى ارضاء الرئيس واكتساب ثقته بأى وسيلة . ولعل هذا هو ما دعى برستيد نفسه لأن يضيف فى تعليقه على هذه النصائح قائلا « من الواضح أن ذلك السياسى المسن كان ذا نظرة خارقة فى انتهاز الفرصة الهامة لمصلحته » [2] .

وعلى أى حال ، خلق وعى بتاح ما هو أثمن من التحلى بالصمت أمام الرؤساء حينما أدرك أن تقلبات الحياة الإنسانية كثيرة . ومن ثم فعلى المرء مهما بلغ من سمو المكانة الإجتماعية والسياسية أن يظل على تواضعه واحترامه للآخرين . وقد عبر عن ذلك حينما نصح ابنه قائلا « اذا أصبحت عظيما بعد أن كنت صغير القدر . وصرت صاحب ثروة بعد أن كنت محتاجا .. فلا تنسين كيف كانت حالك فى الزمن الماضى ، ولا تفخر بثروتك التى أتت إليك منحة من الإله (أى الملك) ، فإنك لست بأفضل من غيرك من أقرانك الذين حل بهم ذلك » [3] .

وهنا نجده يحذر ابنه من المستقبل ، إذ أن حياة الموظف الحكومى محفوفة بالمخاطر دائما ، ومن ثم فعليه أن يكون سخيا مع أصدقائه تحسبا لتلك « الأيام التى يمكن أن يأتى به المستقبل » ـ على حد تعبييره ـ اذ لا يجد المرء فى تلك الأيام من يلجأ إليه إلا الأصدقاء .

---

(١) نفسه .
(٢) نفسه .
(٣) نفسه .

ثانياً : رأيـه فى الخطابـة والجـدل :

اهتم بتاح بالخطابـة والجدل باعتبارهما من الوسائل الضـرورية التى لا يستغنى عنها رجل السياسة والادارة الناجح . وفى كتابه نجده يعلم ابنه كيف يتعامل مع الخطباء قائلا « إذا وجدت خطيبا فى زمـانك سليم العقل أمهر منك فاثن له ذراعك واحن لـه ظهرك . أما إذا تكلم جهرا فلا تقصرين حينئذ فى مقاومته حتى ينادى به الناس : أنت إنسان جاهل. ولكن اذا كـان ممـاثلا لـك فـاظهـر بصحتك أنك أحسن منـه إذا أخطـأ فى الكلام وعنـدئـذ سيمدحه السامعون ولكن اسمك سيعتبر حسنا بين العظماء .. أما إذا كان شخصا حقيرا ليس ندا لك فلا تغضبن عليه لأنك تعلم أنه تعس .. احتقـره وبذلك يؤنب نفسه ، وأنه لقبيح أن يضر الإنسان شخصا محتقرا » (١) .

ويبدو من هذه الفقـرة أنه يحاول وضع الأسس لكيفية التعـامل بين الخطباء . وأول هذه الأسس هـو أن يحترم الخطيب من هـو أبـرع منه فى الخطـابـة ، وثانيهـا : أن يسكت عن هـذه البراعة إذا مـاستخدمت فى غيـر مـوضعها وتعـدت الإقنـاع إلى الهجاء والهجـوم . فحينئـذ لابد للخطيب الآخـر أن يقـاومه ويبـادلـه الحجة بـالحجـة حتى يقهره ويقنـع النـاس بجهله . وثـالثهما : أنه إذا كـان كلاهمـا مماثلاً للآخر فى قـدراته الخطابيـة فإن الأفضلية يمكن أن تبدو من صمت أحدهما حتى يقع الأخر فى الأخطاء . أم رابع هذه الاسس فهو عـدم اهتمـام الخطيب بمن ليـس نـدا له . فمن القبيـح « أن يضر الإنسـان شخصـا محتقرا » .

ومن الـواضـح بالطبع أن مفكـرنا لم يكن يهـدف إلى وضـع نظريـة فى الخطابـة مماثلـة لنظريات أفلاطون أو أرسطو من فلاسفة اليـونان ، بل هـى آراء جزئية فى آداب التناقس بين الخطبـاء تكشف عن فلسفة صـاحبها ووجهـة نظـره فى أهمية الخطـابة ومـا ينبغى أن يسود بين محترفيها من قواعد .

---

(١) سليم حسن : مصر القديمة ، جـ ٢ ، ص ٤١٧ ـ ٤١٨ .

ثالثاً : آراؤه الأخلاقيــة :

يدور فكر بتاح الأخلاقى حول « ماعت ـ Maat » وهى الكلمة المستخدمة عند المصريين القدامى للدلالة على كل ما يفيد العدل والنظام والخير والصلاح أو للدلالة على الحقيقة عموما . لقد كانت « ماعت » فى الفكر المصرى القديم مشابهة » لمثال الخير » عند أفلاطون ؛ فقد كانت بمثابة إله الشمس نفسه ومن ثم كان اشعاعها من أعلى ، وكما كان « مثال الخير » الأفلاطونى هو واهب الوجود والصلاحية للمثل وللأشياء ، فإن « ماعت » هى القوة التى تثير وتدعم الحياة والوجود معا . لم تكن « ماعت » أذن عند المصريين مجرد صفة تلصق بالأشياء الجديرة بالمدح عندهم ، بل كانت قوة روحية ما ورائية منبثة فى كل شىء . وقد أدرك المصرى القديم ذلك وانعكس هذا الإدراك على حياته الإجتماعية والسياسية والأخلاقية . فكان الاعتقاد فى « ماعت » والعمل وفقا لما تعنيه من النظام والعدالة والخير هو الذى يجمع بين الفرد والجماعة ، بين المواطن والحاكم ، ليعمل الجميع فيما يشبه سيمفونية رائعة لصالح الوطن والارتقاء بالمجتمع .

وقد عبر بتاح عن كل هذه المعانى فى مخطوطه ؛ فها هو يحض إبنه على السعى إلى الكمال بالتزام جانب الحق والصدق دائما ، فيقول له « إذا كنت قائدا وتصدر الأوامر للجمع الغفير فاسع وراء كل كمال حتى لا يكون نقص فى طبيعتك . إن الصدق جميل وقيمته خالدة وانه لم يتزحزح منذ يوم خالقه والذى يتخطى نواميسه يعاقب . وهو أمام الضال كالطريق المستقيم . ان الخطأ لم يقد مقترفة إلى الشاطىء . حقيقة ان الشر يكسب الثروة ولكن قوة الصدق فى أنه يمكث والرجل المستقيم يقول انه متاع والدى »[1] .

وفى هذه الكلمات يتجلى فكر بتاح الأخلاقى فى أرقى صورة حينما يدرك الإرتباط الضرورى بين الصدق والإستقامة والخير والخلود من جانب ، وبين الكذب والخطأ وفقدان

(١) نفسه ، ص ٤١٨ .

الشاطىء والشر من جانب آخر . فليس أروع من قوله « ان الشر يكسب الثروة ولكن قوة الصدق فى أنه يمكث » ، وليس أروع من قوله أيضا « ان الرجل المستقيم يقول انه متاع والدى » الذى يعنى به ان الرجل المستقيم يرى أن أفضل شيء ورثه إياه أباه أنه أنشأه على الصدق ؛ فلاشك أن فضيلة الصدق من أهم الفضائل الأخلاقية التى تدعم قوة الفرد وتحافظ على قوة المجتمع وترابطه خاصة اذا ما تحلى بها القواد قبل الأفراد .

ولقد عنى مفكرنا عناية كبيرة بفضيلة الصداقة باعتبارها أيضا أساساً لصلاح الفرد والمجتمع . ومن ثم قدم لابنه معيارا يختار على أساسه الأصدقاء حينما يقول له « اذا كنت تبحث عن أخلاق من تريد مصاحبته فلا تسألنه ، ولكن اقترب منه . ولكن معه منفردا .. وامتحن قلبه بالمحادثة فإذا أفشى شيئا قد رآه ، وأتى أمرا يجعلك تخجل له فعندئذ احذر حتى فى أن تجاوبه » [1] .

واذا تمت الصداقة بعد أن يتأكد الصديق من أخلاق صديقه فى ضوء هذا المعيار السديد ، فإن للصديق بعض الحقوق على صديقه أهمها أن يكرمه ويغدق عليه مما يملك . ويعبر بتاح عن ذلك بقوله لابنه « أشبع لاصدقاءك بما جد لك كإنسان نال الحظوة عند الإله (الملك) ومن الحزم أن تفعل ذلك إذ ليس هناك انسان يعرف مصيره إذا فكر فى الغد . فإذا أصابت المقربين مصيبة فإن الأصدقاء هم الذين لا يفتئون يقولون مرحبا له .. فعليك أن تستبقى ودهم لوقت السخط الذى يهدد الإنسان » [2] .

وواضح أنه قد حدد هنا بعض منافع الصداقة ؛ فالصداقة ليست غاية فى ذاتها وانما هى وسيلة لمنافع كثيرة تترتب عليها منها انتظار وقفة الأصدقاء إلى جانب صديقهم فى أوقات السخط والشدة .

---

(١) نفسه ، ص ٤٢٣ .

(٢) نفسه ، ص ٤٢٢ .

ونجد مثل هذا الاهتمام بفضيلة الصداقة عند فلاسفة اليونان وخاصة أرسطو الذى خصص بابا كاملا من كتابه « الأخلاق إلى نيقوماخوس » للحديث عنها ، وقد بلغ من تقديره لها واقراراه بأهميتها أن قال انها لو سادت بين المواطنين فى الدولة لما احتجنا لتطبيق العدالة »(١) .

وقد تميزت نظرية الصداقة عند أرسطو بأنه قد ميز بين صداقة المنفعة والصداقة الحقه ، وأكد أن الصداقة الحقيقية هى ما تكون لذات الصداقة ولا ترتبط بمنفعة أو بلذه ، لأن الصداقة إذا ما ارتبطت بالمنفعة أو باللذة تنتهى حتما بانتهاء المنفعة أو بانقضاء اللذة ، أما الصداقة الحقيقية أو ما يسميه صداقة الخير فهى دائمة .

واذا كان مفكرنا بتاح حوتب قد دعا إلى الكرم مع الأصدقاء تحسبا لغوائل الزمان فإن هذه ليست بمنفعة فردية أنانية تنقضى سريعا ، بالمعنى الذى قصده أرسطو فى حديثه عن صداقة المنفعة وانما هى المنفعة الدائمة . وليس من شك فى أن أى فضيلة أخلاقية لابد أن يكون لها نفعها فى الحياة الاجتماعية للأفراد . والمهم هو مدى عمومية نفعها ومدى بُعد هذه المنفعة عن تحقيق مصلحة ذاتية أنانية تتعارض مع خير وصالح المجتمع ككل ! .

ولا أشك فى أن مفكرنا قد أدرك كل هذه المعانى حينما وضع محاذير ينبغى للصديق أن يتجنبها حتى تدوم الصداقة ، وكان أهم ما حذر منه باعتباره محققا للذة أنانية قصيرة وباعتباره مفسدا للصداقة هو الإقتراب من النساء فى بيوت الاصدقاء ، فقال فى احدى فقرات كتابه « إذا أردت أن تحافظ على الصداقة فى بيت تدخله سيدا أو أخا أو صاحبا فاحذر القرب من النساء فإن المكان الذى هن فيه ليس بالحسن . ومن أجل هذا يذهب إلى الهلاك »(٢) .

---

(١) أنظر : د. أميرة حلمى مطر : الفلسفة عند اليونان ، دار النهضة العربية ١٩٧٧/٢ القاهرة، ٢ ص ٣٣٧
(٢) سليم حسن : نفس المرجع السابق ، ص ١٤٨

ويتضح من هذه الكلمات أن بتاح قد أراد أن يورث ابنه قاعدة سلوكية هامة حينما حذره من الاقتراب من اماكن السيدات فى منازل أصدقائه ؛ فالاختلاط بهن لا يفسد الصداقة فحسب بل قد يؤدى إلى الهلاك والموت ، إذ أن « ألف رجل قد يذهب بسبب متعة برهة قصيرة تضيع كالحلم ولا يجنى الإنسان من معرفتهم غير الموت »[1] .

ويقابل هذا التحذير من النساء عند بتاح دعوته إلى ضرورة الزواج وتكوين الأسرة ، فالعلاقة بين الرجل والمرأة ، وبين الأب والأبناء تمثل روابط على أعظم جانب من الأهمية فى نظره وفى اطار عصره ، فهو ينصح ابنه قائلاً «إذا كنت رجلا ذا مكانة ، فأسس لنفسك بيتا ، وأحبب زوجتك فى البيت كما يجب . وعليك أن تملأ بطنها وتستر ظهرها ، والعطور التى هى دواء أعضائها ، واشرح قلبها طالما عاشت فإنها حقل مثمر لربها»[28] .

وليس أفضل من هذه الكلمات تعبيرا عما ينبغى أن يكون عليه الرجل فى بيته ومع زوجته ؛ فقد أدرك بتاح كل فضائل الرجل فى منزله ، وعبر أبلغ تعبير عن الصورة الراقية التى وصلت إليها الحضارة المصرية القديمة فى تقدير العلاقة الزوجية والروابط الأسرية التى عدت ـ كما يعبر عن ذلك فى الفقرة السابقة ـ ضرورية ليس فقط لدى عامة الناس ، بل لدى خاصتهم كذلك . وهنا تبدو « ماعت » أى تطبيق العدالة والنظام داخل البيت وبين أفراد الأسرة منشود العلاقة بين الزوج والزوجة ؛ حيث لا ينبغى أن يقصر الرجل فى أداء أى حق من حقوق المعلومة وهى الحب والكساء والأكل والعطر ، فالزوجة هى الحقل المثمر لزوجها .

وهو يطالب الرجل أيضا فى عبارة رقيقة بأن يكون لينا فى معاملة زوجته ولا يعنفها حينما يقول « اذا تزوجت امرأة فلا تعنفها بل دعها منشرحة الصدر أكثر من نساء

---

(١) برستيد : نفس المرجع السابق ، ص ١٤٨ .

(٢) سليم حسن : نفس المرجع السابق ، ص ٤٢٢ .

بلدها، فإنها تستقيم كثيرا اذا كان الحبل لها لينا ولا تنفرها ، بل قدم لها ما تستحسنه إذ بسرورها تدبر الأمور » [١] .

والجدير بالذكر أن هذا التقدير للروابط الأسرية وخاصة للعلاقة بين الزوج والزوجة ـ باعتبارها جوهر المجتمع المترابط والعلاقات الاجتماعية الناجمة ـ لم نشهده لدى فلاسفة اليونان بعد أكثر من عشرين قرنا تفصل بينهم وبين بتاح حوتب ، بل تبدو نظرة الفيلسوف الغربى عموما ـ منذ التراث اليونانى وإلى اليوم ـ إلى تلك العلاقة الزوجية نظرة متدنية هامشية عما شهدناه ونشهده فى التراث الشرقى قديمه وحديثه .

وتمتد نظرة بتاح لتشمل إلى جانب الاهتمام بالعلاقة الزوجية ، الاهتمام بالأهل فهم الامتداد الطبيعى للأسرة الصغيرة حينما يقول « أحسن العمل مع أهلك كما يناسب لأن هذا فعل المرء يفضله الإله » [٢] ويضيف « من قصر فى حسن العمل مع أهله يقال عنه أنه رجل ملعون » [٣] .

وتمتد نظرته كذلك لتشمل الدائرة الاجتماعية الأوسع ، فبعد الاهتمام بالاسرة والأهل ، يأتى الاهتمام بالجيران ، وفى هذا يقول بتاح « لا تكن سيء الخلق مع جيرانك ، والصفح عن السفيه خير من الفسوة فإن أخطأ الزعلان فى حق جيرانه لا يدرك كيف يوجه كلامه وبدل أن تكون الاساءة قليلة ينشأ عنها الكدر مكان الصفو » [٤] .

وليس أعظم من قول بتاح فى العلاقة بين الناس عموما وكف غضب الفرد عن الآخرين « إذا غضبت ولا دواء لذلك . أو كنت معنفا من قبل أحد فصد عنه بوجهك ولا-

(١) أحمد كمال : نفس المرجع السابق ، ص ٢٩٥ .
(٢) نفسه ، في ٢٩٢ .
وقد فضلنا استخدام كلمة « الإله » بدلا من « الله » التى يستخدمها المترجم هنا لأننا نعتقد أن لفظ الجلالة « الله » لا يصح أن يطلق إلا حين الحديث فى الأديان السماوية وبالذات حينما يكون الحديث اسلاميا .
(٣) نفسه ، ص ٢٩٢ .
(٤) نفسه .
(٥) نفسه ، ص ٢٩٣ .

تفكر فيه متى كف الكلام عنك » (٥) . وكأن بتاح هنا يعبر عن قول الله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم « ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم » (١) .

وفضلا عن ذلك ، فإن مفكرنا يطالب بأن يلتزم المرء فى مسلكه مع الناس عموما المرح والإبتهاج ، وألا يكون عبوسا أمامهم فهو يقول « كن باش الوجه مادمت حيا » (٢) . وقد حض على أن يكون المرء عادلا مع نفسه ؛ فلا ضير فى أن يمرح ويلهو ويقتنص الفرص للتمتع بألوان الطعام اللذيذة وسماع الموسيقى الجميلة ومزاولة الرقص والتلهى بالألعاب أو التلذذ بمشاهدة الحدائق الغناء والرياضة بالصيد فى المستنقعات ، لا خير فى أن يتلذذ المرء بكل هذه المتع التى كانت شائعة فى عصره بشرط أن يتبع فى هذا ما يمليه عليه عقله وقلبه .

وهو يقول معبرا عن ذلك « اتبع لبك (أى عقلك أو قلبك) مادمت حيا ، ولا تفعلن أكثر مما قيل لك . ولا تنقص من الوقت الذى تتبع فيه قلبك ولا تشغلن نفسك يوميا بغير ما يتطلبه بيتك ، وعندما يواتيك الثراء متع نفسك لأن الثراء لا تتم فائدته إذا كان صاحبه معذبا » (٣) .

وهذه الفقرة التى يطالب فيها بتاح بتحكيم العقل (أو القلب) فى السلوك تؤدى بنا إلى الحديث عن فضيلة ضبط النفس التى هى مركز الدائرة فى أداء بتاح الأخلاقية والتى يتحقق بمقتضاها للفرد كما للمجتمع العدالة والنظام (ماعت) . وهو يعبر عن هذه الفضيلة الأخلاقية الهامة حينما يخاطب ابنه قائلاً « إذا أردت أن يكون خلقك محمودا ، وأن تحرر نفسك مما هو قبيح ، فاحذر الشراهة فإنها مرض مملوء بالداء ولا يشفى . والصداقة معها مستحيلة فإنها تجعل الصديق العذب مرا ، وتقصى ذا الثقة عن سيده ،

---

(١) القرآن الكريم ، سورة فصلت ، الآية ٣٤

(٢) برستيد : نفسه ، ص ١٤٩ .

(٣) نفسه .

وتجعل كلا من الأب والأم قبيحا وكذلك الأخوال ، وتفصل الزوج عن زوجته . وهى حزمة من كل أنواع الشر وحقيبة من كل شيء مزدول . وان الرجل الذى يتبع طريقة حقه فى سلوكه ويسير على الصراط السوى يعيش طويلا ، ويكسب الغنى بذلك ولكن الشره لا قبر له » [١] . ويضيف إلى ما سبق قوله « لا تكونن شرها فى القسمة ، ولا تكونن ملحا إلا فى حقك ، ولا تطعمن فى مال أقاربك .. فإن القليل الذى اختلس منه يولد العداوة حتى عند صاحب الطبع اللين » [٢] .

واذا ما تأملنا هذه الفقرة جيدا، فسنجد هذا الربط الحاسم بين الخلق المحمود وتحرير النفس من القبح (أى من الشراهة) . ومن ثم فقد أدرك بتاح العلاقة الوطيدة بين ضبط النفس وبين التحلى بكل ما هو فاضل ومحمود أى بكل ما هو أخلاقى ؛ فالتحلى بهذه الفضيلة من شأنه - كما أشارت العبارات السابقة لمفكرنا - الحفاظ على الصداقة ، والحفاظ على الثقة بين الفرد وسيده ، والحفاظ على الحب الأسرى بين الزوج والزوجة وبين الآباء والأبناء والأمهات والأخوال .. إلخ .

ان تحذير بتاح من الشراهة ومطالبته بالتالى بضبط النفس فى كل الأحوال هو بلاشك ادراك لأهم أسس الأخلاقية على مر الزمان . وليس أدل على ذلك من أن الفكر اليونانى حينما بدأ يتجه إلى الإنسان ويتحدث عن الفضيلة والأخلاق ، كانت محاولات فلاسفته تتجه بتطور بطيء نحو الإدراك الكامل لأهمية ضبط النفس . وقد بدأ هذا التوجه من هيراقليطس الذى فرق بين النفس الجافة والنفس الرطبة ، وقال ان النفس الجافة هى البعيدة عن الشراهة والشهوة وهى « الأحكم والأفضل » [٣] .

ثم كانت أعظم دعوة بعد ذلك لسقراط وتلميذه أفلاطون هى الدعوة إلى ضبط النفس ؛

(١) سليم حسن : نفس المرجع السابق ، ص ٤٢١ - ٤٢٢ .

(٢) نفسه ، ص ٤٢٢ .

(٣) أنظر : الترجمة العربية لشذرات هيراقليطس فى : د. أحمد فؤاد الأهواني : فجر الفلسفة اليونانية ، مكتبة عيسى البابى الحلبى بالقاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٥٤ م ، شذرة ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ - ص ١٠٨ ، ١٠٩ .

فمعرفة النفس عند سقراط لا تكون إلا بمعرفة ما يناسبها وباعتبار أن جوهر النفس الإنسانية هو العقل فما يناسبها هو أن تدرك الخير وتفعله ، وادراك الخير عنده يعنى تماما ضبط النفس ؛ فلا تظلم ولا تكذب ولا تجبن ولا تفعل أى شر طالما أدركت الخير »[١].

وفى نفس الاتجاه سار أفلاطون ؛ فقد كانت فضيلة ضبط النفس هى أحد أحجار الزوايا فى فلسفته عامة ، وفلسفته الأخلاقية على وجه الخصوص ؛ فقد تحدث فى « الجمهورية » عن العدالة داخل النفس الفردية حينما قسم النفس إلى ثلاثة أجزاء هى النفس الشهوانية والنفس الغضبية والنفس العاقلة ، وربط بين أخلاقية الفرد وبين تحقيق العدالة داخل النفس بأقسامها الثلاثة عن طريق تحلى النفس الشهوانية بفضيلة العفة ، والغضبية بفضيلة الشجاعة ، والعاقلة بفضيلة الحكمة .[٢]

وهكذا نجد التشابه واضحا بين أفلاطون وبتاح حوتب فى ادراكهما لضرورة تحلى الفرد بالأخلاق الحميدة عن طريق تحقيق العدالة داخل نفسه بمحاولة ضبطها بتحكيم العقل فى كل سلوكيات النفس ، وفى ادراكهما أن كبح جماح شهوانية النفس لا يكون إلا بالاعتدال فى ممارسة الشهوة والحذر من الشراهة كما قال بتاح ، أو بتحليها بفضيلة العفة كما قال أفلاطون . وفى الحالين نجد مطالبة بتاح وأفلاطون بضرورة عفة النفس بألا تطمع فيما لاحق لها فيه .

وبالطبع فقد جاءت تحليلات أفلاطون المستفيضة فيما يخص فضائل النفس الغضبية والعاقلة ، وربطه بين تلك الفضائل وبين أجزاء النفس وطبقات الدولة ، جاءت أكثر عمقا وأكثر تفصيلا مما وجدناه عند بتاح حوتب ، حيث جاء ربط الأخير بين فضيلة ضبط

(١) أنظر : أميرة حلمي مطر : نفس المرجع السابق ، ص ١٥٥ ـ ١٥٦ .

(٢) See: Plato: The Republic: Book 4, PP. 428-444, Eng. Trans. by H.D.P.Lee, The Penguin Books, London, 1962, PP. 147-198.

النفس وبين فكره السياسى يطالب ابنه مثلا بأن يحنى ظهره لمن هو أعلى منه وأن يحترم رئيسه حتى يبقى بيته بخير ويأتيه مرتبه فى حينه [١] ، بل يخصه على عدم مقاومته والاستسلام لأوامره « فمقاومتك من فى يده السلطة قبيح » [٢] .

وفى هذا يبدو مدى اهتمام مفكرنا بكسب ثقة الرؤساء ولو أتى ذلك على حساب حزم الفرد وقوته فى أداء عمله « فالإنسان ـ فى نظره ـ يعيش مادام متساهلا » [٣] . ولاشك أن هذا يعكس واقعا كان يعيش بتاح وهو تسلط الرؤساء فى الإدارات المختلفة وتعسفهم مع من هم دونهم فى المكانة الإدارية ؛ وبدلا من أن يدعو هو إلى مقاومة هذا التسلط دعى إلى التساهل معه حرصا على المنصب أو الوظيفة وما تدره من مرتب .

ولا ينبغي أن نسارع إلى الحكم على بتاح بالتساهل المطلق مع هذا التسلط الإدارى ؛ اذ على الرغم من أنه لم يدع بوضوح إلى مقاومته ، فإنه حاول أن يخفف منه عن طريق نصحه لابنه ولكل من يتعاملون مع الناس فى تلك المناصب الإدارية العليا بأن يكون رحيما معهم وأن لا يسىء معاملتهم وأن يحسن الاستماع إلى شكواهم ومظالمهم كاملة ، فهو يقول « إذا كنت ممن يقدم لهم الشكاوى ، فكن شفيقا حينما تسمع كلام المتظلم ، ولا تسىء معاملته إلى أن يغسل بطنه ، وإلى أن يقول ما قد جاء من أجله ، وان المتظلم يحب كثيرا أن يهز الإنسان رأسه إلى كلامه إلى أن ينتهى مما جاء من أجله .. وان مجلسا حسنا يسر القلب » [٤] .

وليس هناك من شك ـ كما يقول برستيد ـ فى أن تكون هذه الشفقة مع المظلوم وسماع شكواه ذات علاقة وطيدة بالمعاملة الحسنة المبنية على الحق والعدالة التى أخذت مكانة

(١) أنظر : الفقرة التى يتحدث فيها بتاح عن احترام الرؤساء فى : سليم حسن ، نفس المرجع السابق ، ص ٤٢٣ .
(٢) نفس المرجع السابق ، ص ٤٢٣ .
(٣) نفسه .
(٤) نفسه ، ص ٤٢١ .
(٥) برستيد ، فجر الضمير ، الترجمة العربية ، ص ١٤٩

سامية فى فكر بتاح الأخلاقى والسياسى [٥] .

لكن المتأمل لتلك الفقرة السابقة يلاحظ اقتصار مفكرنا على المقاومة السلبية للظلم ؛ اذ أن كل ما يطلبه من الإدارى الفاضل هو أن يستمع إلى المتظلم « إلى أن يغسل بطنه » أى حتى يزيل كل الهموم التى تثقل قلبه وينتهى من كل شكواه ، وأن يهز رأسه كعلامة على حسن الإستماع إلى الشاكى « فإن مجلسا حسنا يسر القلب » ، وهذه هى الخلاصة أن يسر الشاكى لمجرد أن شكى واستمع المسئول إلى شكواه .

وبالطبع فإن هذا الفهم للعدالة ليس دقيقا ؛ اذ أن العدالة لا تكتمل إلا إذا أخذ المظلوم حقه من الظالم عن طريق تحقيق يجريه هذا المسئول مع الظالم الذى جاء الشاكى يشكوه طلبا لرفع الظلم عنه وليس لمجرد المجلس الحسن وغسل الهموم .

وعلى أى حال ، فلقد كان بتاح فيما أبداه من آراء قرن فيها بين الأخلاق والسياسة يعبر عن عصر كانت الحرية فيه - بالمعنى الحديث لها - لا يملكها إلا فرد واحد فقط هو الملك (الإله) . وكان الجميع ممن هم دونه سعداء باطاعتهم له وراضون بانطوائهم تحت لوائه طالما أن البلاد بخير وفى تقدم ، ولم يمنعهم هذا الرضا والخضوع لملك من أن يثوروا تعبيرا عن السخط اذا ما ساءت أحوال البلاد وعم الفساد ، ولا أدل على ذلك من شكاوى الفلاح الفصيح . ومن النظر فى فكر وكتابات ايبوور .

ولا أشك فى أن بتاح وهو يكتب هذه الخطرات كان واعيا بأهميتها الشديدة ، وبأنها تمثل حجرا لا غنى عنه فى بناء الفكر الأخلاقى فى مصر القديمة لسنوات عديدة ستأتى بعده ، وكان واعيا بأنه انما يعبر عن فكر أخلاقى رفيع المستوى بالنسبة للفرد وللمجتمع ربما كتب له الخلود . وهو يعبر عن كل ذلك حينما يقول لابنه فى ختام كتابه « اذا سمعت هذه النصائح التى ذكرتها لك فإن حكمتك تصير فى تقدم حقيقى ومهما تكن فإنها

الواسطة للوصول إلى الخير . وهذا هو الذى جعلها ذات قيمة وجعل أدراكها يبعد عن لغط الناس . وما أحسن ترتيبها فى كل مجال ذكرت فيه من غير تغيير يدخلها فى هذه الدينا أبد الآبدين فهى النسيج الذى يصنع للتحسين وبه يتكلم الإنسان فيتعلم أسلوب الكلام اذ بعد فهمها يصير أستاذا . والذى يكون له استعداد لسماع هذا الكلام ويصغى إليه ينال النجاح الذى يبلغ به الدرجة الرفيعة ويضمن له الكمال السرمدى ، فلا شىء يهوله أبدا اذ بالعلوم تكون ادارته ثابته ويكون بها فى الدنيا سعيدا ، فالعالم شبعان بمعرفته ، كبير بفضله ، لسانه طوع عقله ، وشفتاه صادقتان متى تكلم ، وعيناه متى نظرتا ، وأذناه متى سمعتا ، ويكون فائدة لإبنه فيفعل الصواب بدون خطأ » (١) .

وقد أكد بتاح فى هذه الفقرة المطولة على كل ما سبق أن قدمه من آراء جزئية فى الفضائل ، وأكد على أن من يتخذ منها منهاجا له ينال النجاح والدرجات الرفيعة والكمال السرمدى . ولقد اتخذ منها المصريون فعلا منهاجا لحياتهم ، فصارت جزءاً من الحكمة التقليدية فى مصر القديمة ، ويتضح ذلك من حقيقة أنها كان « يعمل بها حوالى أربعمائة سنة بعد ذلك ، وليس أدل على ذلك من هذه الوثيقة التى يطلق عليها « تعليمات إلى ميريكرع » ، فالذى يطلع عليها يجد اشارات واضحة إلى الأخذ بتعاليم بتاح حوتب باعتبارها تعاليم الأجداد . (٢) ولا أغالى ان قلت انها ظلت تفعل فعلها وتؤثر فى سلوك المصريين وفى مفكريهم بعد ذلك بكثير فى عصر الدولتين الوسطى والحديثة لمصر القديمة، بل وحتى الآن .

رابعاً : تعقيب :

يستطيع المرء من النظر فيما سبق عرضه من آراء لبتاح حوتب أن يؤكد بأنه كان

(١) أحمد كمال : نفس المرجع السابق ، ص ٢٩٥ .

(٢) أنظر : أ و.ف توملين : فلاسفة الشرق ، ترجمة عبد الحميد سليم ، دار المعارف ، بمصر ، بدون تاريخ ، ص ٥٤ .

داعيا إلى نـوع من الأُخلاق العملية التى تعبـر عن القيم التى سادت عصـر الدولـة القديمة التى ازداد فيهـا طموح الأفراد بـدرجة كبيـرة ، وهو مـا يتضح من الحاح بتاح علـى ابنه بأن يبـذل كل مـا وسعـه من جهـد ليتقـدم فى الحيـاة وانـه يمكنـه الحصـول على مـا يبغيـه باتباع المبادىء السابقة .

ولما كـانت هذه المبـادىء نفسهـا تتطلب من الأفراد ألا يكـونـوا ممن يقلدون غيـرهـم بل يكونـوا هـم البادئين بـالعمل ، فعليه اذن أن يكـون طموحا غيـر هيـاب حتى ينـال الاحترام والثروة والمركز ، فالنظام الكونى قد اعد مكانا لمواهب الرجل « الحكيم » وميزه عن الرجل « الجاهل » (١).

وجـوهـر الحكمـة عنـده كما قـدمنـا هو الإلتـزام دائمـا بالنظـام والعـدالة (مـاعت) على أساس من ضبط النفس .

وعلى الرغم من أن بتاح حوتب قد عاش فى الألف الثالثة قبل الميلاد ، إلا أن ما قدمه من آراء أخلاقية قد بلغ حداً بعيداً من النضـج ، وجمع فى كتـابه ـ على حد تعبير توملين ـ الفكر الثاقب والرأى السديد والأمور الدينوية المقررة فى آن واحد . (٢)

لقد دلل بتاح على عمق فكره الأخلاقى وسموه حينما ربط ـ كما أوضحنا ـ بين الأخلاق الفـردية والأخلاق الإجتمـاعية بـروابط وثيقة ؛ فلم تكـن دعوتـه لنبذ الشـراهة منفصلـة عن الدعوة إلى روابط أسرية تقوم على الحب المتبادل بين الزوج والزوجة والأبناء .

واذا كان قد أعطى المكانة العليا فى الأسرة للـرجل ، فإن هذا مبدأ يشاركه فيه معظم فلاسفـة الأخلاق من أصحاب المذاهب الأخلاقيـة الكبرى ؛ فهـا هو أرسطـو يرفض دعـوة أستـاذه أفلاطـون إلى المسـاواة بين الـرجل والمرأة ويفـرض مطـالبتـه بمشـاركـة المرأة فى

(١) جـون ويلسـون ، نفس المرجع السابق ، ص ١٦٨ ـ ١٦٩
(٢) توملين : نفس المرجع السابق ، ص ٥٣

الجندية والحكم ، ويرى ضرورة أن يكون الرجل هو السيد فى أسرته وأن تنحصر وظيفة المرأة فى رعاية أولادها وشئون منزلها . [٢]

أما دعوة بتاح إلى بعض الفضائل بدافع المنفعة مما يبدو منه أحيانا أنه يكاد يوحد بين الفضيلة والمنفعة ، فهى دعوة أصلية - رغم عدم قصده الواضح إليها ؛ فالكثيرون من أصحاب المذاهب الأخلاقية الغربية قد دعوا إلى الربط بين الفضيلة والمنفعة منذ زعماء السوفسطائيين فى العصر اليونانى الذين قرروا نسبية الفضائل وربط خيرية الفعل بما يعود بالنفع على صاحبه ، وحتى ظهور ما يسمى بمذهب المنفعة الفردية لدى توماس هوبز ، والمنفعة العامة لدى جون ستيوارت مل واتباعهما فى العصر الحديث .

وعلى أى حال ، فإن تلك التعاليم لبتاح حوتب قد أثبتت بما لا يدع مجالا للشك أن المصرى القديم قد استطاع أن يؤسس مجتمعه الحضارى الراقى فى ضوء معايير ومفاهيم أخلاقية سامية وناضجة وواضحة المعالم منذ الألف الثالثة قبل الميلاد .

وقد أثبت بتاح أنه مفكر من طراز فريد فى تلك الفترة حيث تميزت آراؤه - على حد تعبير ويلسون - بالنزعة الانفرادية المليئة بالحركة [١] ، والتى تغلب عليها الثقة فى النفس والإطمئنان إلى المستقبل وحب التقدم إلى الأمام .